كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية النقد القديم/المرحلة الثالثة د. جبار عبد ضاحي

المحاضرة العاشرة قدامة بن جعفر والأثر اليوناني:

Qudama Ibn Jaafar and the Greek Impact

يحتل قدامة بن جعفر مكانة مهمة في تأريخ النقد العربي،ويعود السبب في ذلك الى أمرين اثنين:

1-ان كتاب (نقد الشعر) اول محاولة منهجية لدراسة الشعر على اساس نظري واضح ومتكامل.

2-ان قدامة بن جعفر من اوائل النقاد الذين تأثروا بشكل أو بآخر بالافكار الارسطية في الشعر.

وقد كان لثقافة قدامة الفلسفية والمنطقية اثراً واضحاً في نظرته الشاملة الى الشعر بصفته علماً أو صناعة، وقد ابعدته هذه النظرة الشاملة عن النزعة التجزيئية الذوقية التي ميزت بعض الاتجاهات النقدية السابقة.

وقد استمد ثقافته من التأثير اليوناني بصفة عامة، والتأثير الأرسطي بصفة خاصة، لذلك كان للمنطق اثراً كبيراً في تأليف الكتاب وتبويبه وتقسيمه وتفريعاته وفي اساليب حصر المعاني.

أقسام العلم بالشعر كما يراها قدامة:

1-علم ينسب الى وزنه وعروضه

2-علم ينسب الى قوافيه ومقاطعه

3-علم ينسب الى غريبه ولغته

4-علم ينسب الى معانيه والمقصد منه

5-علم ينسب الى جيده ورديئه.

ومهمة نقد الشعر عند قدامة لا صلة لها بعروضه أو اوزانه أو لغته فهذه ليست من جوهر الشعر في شي' ولا تساعد على الكشف عن الشعر بصفته شعراً ، فالحديث في اللغة والغريب والمعاني محتاج اليه في الشعر كما في النثر ، وليس احدهما اولى به من الاخر وأما العروض والقافية فمع انها مما يخص الشعر دون النثر ، إلا أن معرفتها والعلم بها ليس ضرورياً ، فقد كان الشعراء يقولون الشعر قبل ان يعرف علم العروض والقافية ، وكان مدار العلم عندهم على الذوق والاذن المرهفة التي تستطيع ان تدرك الزحاف والعلل من دون معرفة سابقة بها ، لذلك لاحظ قدامة أن النقد اتجه الى اللغة يزنها بميزان الخطأ والصواب ، والى المعاني يقومها على نحو جزئي لا يرتبط بما قبله وما بعده ، وصار عند هولاء الحكم على اللفظة أو العبارة أو المعنى حكماً على الشعر ، وليس ذلك بشيء ، فالنقد عند قدامة تمييز الجيد من الرديء ومعرفة هذا يحتاج الى علم دقيق بطبيعة الشعر أولا ، وقد رأى الناس يخبطون فيه ، ولذلك فبعد ان حدد قدامة مهمة نقد الشعر على النحو الذي اسلفنا القول فيه ، لذلك عرف الشعر فقال (فيه موزون مقفى يدل على معنى) فالشعر بصفته (قولا) يميزه من الذي ليس بقول ، وكونه (موزوناً) يفصله عما ليس بموزون ، وقوله (مقفى) يميزه عن الاقوال الموزونة غير المقفاة ، وقوله (يدل على معنى) على معنى على معنى على معنى .

وهذا تعريف جامع مانع كما يقول أصحاب المنطق، ومع ذلك فالتعريف يخلو من أية اشارة الى (الخيال والصورة) وهما مما لا يخلو شعر منهما فالتعريف الذي الذي ارتضاه قدامة لنفسه ينصرف الى النظم اكثر مما ينصرف الى الشعر، وفرق كبير بين النظم الذي هو رصف للكلمات على وزن واحد وروي واحد وبين الشعر الذي هو تعبير عن الوجدان وتصوير للمشاعر...

وميزة قدامة هنا انه صرف اهتمام النقد من الشاعر كما هو عند ابن سلام، الي الشعر،وهذا هو عين الصواب

المعاني في الشعرِ

يريد قدامة من خلال حديثه عن المعنى، محاولته حصر المعاني الشعرية في أغراض، وتحديد هذه الاغراض على نحو ينبئ بتأثير يوناني، والواقع ان قدامة يدرك صعوبة حصر المعاني، فيقول" ولما كانت اقسام المعاني التي يحتاج فيها الى ان تكون على هذه الصفة (مواجهاً للغرض المقصود) مما لا نهاية لعدده ". وهذه الاغراض ه (المديح والهجاء والنسيب والمراثي والوصف والتشبيه).

فحصر المعاني إذن في هذه الاغراض الستة، بسبب ان معظم الشعراء يدورون في اطارها،ولا يخرجون عنها إلا فيما ندر وليس في الامر حصر شامل للمعاني على نحو ما يشير اليه الدارسون. لذلك يجب أن نميز بين حصر للاغراض الشعرية. وحصر للمعاني الشعرية فأما الاغراض الشعرية فقد حصرها قدامة فعلاً في الاغراض الستة المشار إليها سابقا، وهو في هذا غير خارج عن المنهج العربي من تحديد اغراض الشعر. وأما المعاني الشعرية فلعل المقصود بها المعاني الجزئية التي يجعلها الشاعر مدار حديثه عندما يمدح أو يرثى أو يهجو.

نلاحظ هنا أن اغراض الشعر الستة، تتوزع على أمرين اثنين إ

1-الانسان- في المديح والهجاء والرثاء والنسيب

2-الطبيعة- في التشبيه والوصف

وينبغي الاشارة الى ان التشبيه والوصف ليسا غرضين شعريين فهما اسلوبان وطريقان في الوصف ورسم الاشياء وهما موجودان في اغراض الشعر كلها، فمن النادر ان نجد قصيدة في غرض شعري معين تخلو من وصف أو تشبيه، لذلك فالانسان هو اساس المعاني الشعرية وقد يكون هذا ما اراده قدامة عندما قال" اذ كان غرض الشعراء انما هو مدحهم الرجال".